

الفصل الرابع

الدعاية في الصراع الصيني السوفيتي

obeikandi.com

الدعاية في الصراع الصيني السوفيتي

إننا إذ نخصص هذا الفصل للبحث في أوجه الصراع الصيني السوفيتي ، إنما نهدف في حقيقة الأمر إلقاء المزيد من الضوء على الأيديولوجية السياسية والدعائية للاتحاد السوفيتي في علاقته الحالية بالعالم الخارجي . فنذ عام ١٩٦٣ تدور مناظرة كبيرة وخطيرة بين الدولتين الشيوعيتين الكبيرتين ولقد تطورت هذه المناظرة من الهمسات الخافتة إلى الصراع العلني الذي وصل إلى درجة الاصطدام المسلح عند الحدود الصينية السوفيتية . وبرغم أن وقوف الاتحاد السوفيتي مع الشيوعيين الصينيين كان من عناصر نجاح هؤلاء إلا أن الصراع الحالي بينهما جعل الصينيين يتذكرون للاتحاد السوفيتي ويوصمون قاداته بألقاب «التحريضيين» وعملاء الإمبريالية .

وقد وصل هذا الصراع إلى نقطة اللاعودة بعد إعطائه بعداً عقائدياً خلال ما عرف بثورة ماو الثقافية . . وكرست كلا الدولتين كافة وسائل دعائهما - للتشهير بالأخرى وإثبات أنها المنحرفة عن الماركسية اللينينية .

حول المركزية في الحركة الشيوعية العالمية

ولقد أخذت المناظرة بين الصينيين والسوفيت في بدايتها طابع السرية ولكنها ما لبثت أن أصبحت علنية سافرة عندما وجه السوفيت إلى الصينيين - تهمة - محاولة اغتصاب القيادة، ورد الصينيون بأن وجهوا لهم هذا السؤال: نريد أن نسأل قادة الحزب الشيوعي السوفيتي: تقولون إننا نريد اغتصاب القيادة؟ فمن نريد اغتصابها؟ ومن في يده القيادة الآن؟ وهل يوجد في الحركة الشيوعية العالمية شيء يسمى قيادة تتحكم في جميع الأحزاب الشقيقة؟ وهل هذه القيادة في يديكم؟

وأجاب السوفييت على التساؤل الصينى مؤكدين :

« إن القوة القيادية والتوجيهية للنظام الاشتراكى العالمى هى الاتحاد السوفييتى بلد الاشتراكية الأول الذى اكتسب خبرة غنية فى بناء الاشتراكية ولهذا فإن بلدان النظام الاشتراكى العالمى تعتمد عن حق على الدور القيادى للاتحاد السوفييتى وفى هذا النظام ضمانة نجاحه فى التحول الاشتراكى ^(١) » .

ولم تسكت الصين من ناحيتها بل شنت كافة أجهزتها الدعائية حملة مضادة كشفت عن مرمى وأبعاد التساؤل الصينى مؤكدة أن الصين هى المركز الجديد للثورة العالمية وموجهة إلى الحزب الشيوعى السوفييتى والأحزاب الشيوعية الأخرى المساندة له تهمة خيانة الثورة الماركسية اللينينية .

وفى هذا المعنى كتبت صحيفة جيش التحرير اليومية فى عددها الصادر فى ٦ يوليو ١٩٦٦ تقول :

« إن كل الشعوب والأمم المضطهدة فى العالم بأسره تعلق آمالها الآن على الصين الجديدة الثورية .. لقد غدا بلدنا قاعدة الثورة العالمية . وغدا حزبنا حامل لواء الثورة العالمية . وفكر ماوتسى تنج هو قيس الثورة العالمية » .

ولقد جرفت هذه المعركة أحزاباً شيعية أخرى وقف معظمها إلى جانب السوفييت بينما وقف بعضها بجانب الصين مثل الحزب الشيوعى الألبانى والحزب الشيوعى البلجيكى ، بينما آثر الحزب الشيوعى الكورى الوقوف على الحياد .

احتدام الخلاف الايديولوجى واشتداد حرب الدعاية

ولم يتوقف الخلاف الصينى - السوفييتى عند قضية مركزية انقيادة فى الحركة الثورية العالمية ، أو كما سماها خروشوف - مشكلة الرأس - بل انتقل إلى قضايا أيدىولوجية أكثر عمقاً وأشد خطورة ، قضايا أساسية فى البناء النظرى الماركسى اللينينى وبالتالي فى عملية الممارسة الثورية من أجل سيطرة البروليتاريا وأسلوب التغيير الثورى ، أى أن الخلاف أصبح خلافاً فى التكتيك والاستراتيجية على السواء .

(١) جورج طرابيشى : النزاع السوفييتى - الصينى من ١٤ - ٢٦ .

وليس هذا بالأمر المستغرب ، فتمت بداية عام ١٩٤٩ دعا ماوتسى تونج إلى استقلال الصين استقلالاً ذاتياً عقائدياً ، وأصر الصينيون على أنهم قد اكتشفوا أطواراً جديدة من الشيوعية وأن ماوتسى تونج قد حول الماركسية من الطابع الأوربي إلى الطابع الآسيوي . وهو الذى قاد شعب الصين فى كفاحه إلى النصر ، وحل المشكلات الصينية واستخدم التحليل الماركسى اللينينى لتفسير التاريخ الصينى وتوصل إلى نظرياته فى الثورة مستقلاً عن الفكر السوفييتى حين اعتمد فى إشعالها وإنجاحها على طبقة الفلاحين بدلاً من طبقة البروليتاريا . وبعد وفاة ستالين أخذ الصينيون ينظرون إلى ماوتسى تونج على أنه أحد القلاسة الأفاضل فى العصر الحديث وأنه يجب ألا يتلقى أوامره من موسكو سواء بالنسبة إلى السياسة الخارجية للصين أو بشأن نمط التنظيم الشيوعى الداخلى . هذا بالإضافة إلى أن ماوتسى تونج يعتبر نفسه ، كما يعتبره الصينيون زعيماً للثورة فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية .

ولقد كان فى مقدمة عوامل الشقاق بين البلدين الشيوعيين الاختلاف حول قضيتين أساسيتين فى الفكر الماركسى اللينينى هما : قضية الانتقال السلمى إلى الاشتراكية وقضية التعايش السلمى مع النظام الرأسمالى .

أولاً - قضية الانتقال السلمى إلى الاشتراكية :

لمدة طويلة . وطوال حقبة الحرب الباردة بين المعسكر الرأسمالى والمعسكر الاشتراكى لم تثر قضية الانتقال إلى الاشتراكية - داخل صفوف المعسكر الاشتراكى - فقد كان هناك شكلان متعارف عليهما للانتقال إلى الاشتراكية هما : طريق الثورة الروسية والثورة الصينية وطريق الديمقراطية الشعبية فى شرق أوروبا ، بيد أن التطورات التى حدثت بعد الحرب العالمية الثانية واتخاذ كثير من الدول النامية الحديثة الاستقلال طريق التحول السلمى إلى الاشتراكية ، كل هذه العوامل دفعت بقضية الانتقال إلى الاشتراكية إلى مجال المناقشة وكان من الطبيعى فى هذه الظروف أن يعاود المؤتمر العشرون للحزب الشيوعى السوفييتى المتعقد فى فبراير ١٩٥٦ تأكيد المبدأ اللينينى القائل بتعدد الطرق للوصول إلى الاشتراكية

حسب ظروف كل أمة بما في ذلك الطريق السلمى الديمقراطى ، وفى هذا المعنى يقول تقرير المؤتمر المذكور :

« إن من المحتمل أن تظهر أشكال أخرى للتحويل الاشتراكى ، فضلا عن ذلك فإن تحقق هذه الأشكال لا يحتاج لأن يقترن بحرب أهلية فى جميع الظروف . وليس صحيحاً أننا نعتبر العنف والحرب الأهلية كطريق وحيد لإعادة تشكيل المجتمع » .

ويبدو أن هذا القرار قد أشعل شرارة الخلاف بين البلدين وإن لم يتخذ الخلاف شكلاً علنياً إلا فى سنة ١٩٥٩ ، وهى السنة التى شهدت إلغاء الاتفاقات التكنولوجية بين البلدين ، وتلا ذلك فى سنة ١٩٦٠ خفض المعونة السوفيتية للصين ثم إلغاؤها وسحب الخبراء السوفيت من الصين .

ذلك أن الصين رأت فى ذلك القرار خروجاً عما تنسبه إلى لينين من القول بأنه لا يوجد ماركسى جاد يعتقد أنه من الممكن التحويل من الرأسمالية إلى الاشتراكية بدون حرب أهلية^(١) .

فى ١٠ نوفمبر ١٩٥٧ بُعثت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى إلى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى بمناسبة انعقاد مؤتمر الاثنى عشر حزباً بكتاب تضمن « عرضاً للآراء حول مسألة الانتقال السلمى ، وكان واضحاً من ذلك الكتاب (الذى لم ينشر إلا فى عام ١٩٦٣) أن الحزب الشيوعى الصينى لا يوافق على مبدأ الانتقال السلمى إلى الاشتراكية .

وتلخص الفقرات التالية من المقال المنشور فى مجلة العالم الأحمر الصينية وجهة نظر الصين فى هذا الشأن ، يقول المقال :

« على البروليتاريا أن تلجأ إلى الثورة لتستولى على سلطة الدولة وتحطم الجهاز العسكرى البيروقراطى للبرجوازية وتقيم دكتاتورية البروليتاريا مكان دكتاتورية البرجوازية » والذين يعرفون جيداً تاريخ نضال البروليتاريا يعلمون أن هذه المسألة

(١) حين فهمى مصطفى : العلاقات السوفيتية الصينية - الكاتب - أغسطس ١٩٦٩ .

الأساسية تشكل على وجه التحديد الخط الفاصل بين الماركسيين من جهة ، وبين الانتهازيين والتحريريين من الجهة الأخرى .

« لا شك في أنه لو كان في وسع البروليتاريا أن تستولى على السلطة وأن تحقق الانتقال إلى الاشتراكية بالطريق السلمى لكان ذلك في مصلحة الشعب تماماً . ومن الخطأ عدم استخدام هذه الإمكانيات عندما تظهر . . . بيد أنها تظل دوماً كما قال لينين « إمكانيات استثنائية في تاريخ الثورات »^(١) .

وهكذا برزت نقطة أخرى من نقاط الخلاف الرئيسية وسعت الهوة بين الطرفين ، وصعدت الحرب الدعائية بين البلدين إلى حد تبادل اتهامات لا تنقل عنفاً عما يردده خصوم الشيوعية أنفسهم ، بل إن هذه الاتهامات أخذت تنصب على الأشخاص بشكل ظاهر واتسمت بطابع غريب من المراة والقسوة والشراسة . ففي ٣١ مارس ١٩٦٤ نشرت بكين بياناً طويلاً تحرض فيه على قاب خروتشوف وتصنية اتجاهاته ، وتدعو فيه الأحزاب الشيوعية إلى الوقوف بجانبها ، وتعدّها بالنجاح بفضل تأييد بكين إذا سارت هذه الأحزاب في طريق الثورة العنيفة التي يسير فيها ماوتسى تنج « النضالى » وتبشرها بالانحلال والموت إذا اتبعت طريقاً مخالفاً . . . واللغة التي صيغت بها الوثيقة غير مألوفة في تاريخ المشتائم بين الحكومات ورؤساء الأحزاب وملية بالاتهامات الموجهة إلى خروتشوف نفسه .

وفي ٢٥ أبريل عام ١٩٦٤ نشرت صحيفة « برافدا » مقالاً ردت فيه على القادة الصينيين واتهمتهم بأنهم يحاولون إنشاء كتلة جديدة داخل مجموعة الدول الأفرو آسيوية وذلك بإقصاء الاتحاد السوفيتي عن جبهة التحرير من الاستعمار التي أنشئت في مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ ودعت الصحيفة إلى العمل من أجل إحباط - المحاولات الصينية لبذر بذور الانشقاق في صفوف الكتلة المناهضة للاستعمار التي تناهض من أجل الحرية والسلام والاستقلال ، وقالت إن هدف الصين من إنشاء كتلة جديدة هو فرض الخط الذي تنهجه في السياسة الدولية على هذه الكتلة وأن هذا لا يخدم قضايا شعوب آسيا وأفريقية وأمريكا اللاتينية

(١) جورج طرابيشي - المرجع السابق ص ٤١ .

ولكنه يخدم مصالح الاستعمار لأنه يضعف الجبهة التي تناضل ضد المؤامرات الاستعمارية^(١).

ولم يخف « ليونيد بريجنيف » تضايقه من الدعاية التي تشمها الصين ضد السوفييت فقد جاء في تقريره إلى المؤتمر الرابع والعشرين للحزب الشيوعي السوفييتي ما يلي : « أما فيما يختص بعلاقاتنا مع جمهورية الصين الشعبية فإن القادة الصينيين تقدموا كما هو معروف بمنهج فكري سياسي خاص بهم في المسائل الأساسية للحياة الدولية والحركة الشيوعية العالمية يتنافى مع اللينينية وطالبون بالتخلي عن خط المؤتمر العشرين وعن برنامج الحزب الشيوعي السوفييتي وقاموا بحملة دعائية عدائية شديدة ضد حزبنا وبلدنا وتقدموا بمطالب إقليمية من الاتحاد السوفييتي بل لقد ساروا بالأمر إلى حد الاصطدامات المسلحة على الحدود في ربيع صيف سنة ١٩٦٩ ولقد عارض حزبنا بشدة محاولات تشويه تعاليم الماركسية - اللينينية وإحداث الشقاق في الحركة الشيوعية العالمية وفي صفوف المناضلين ضد الإمبريالية . كما حافظت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي والحكومة السوفييتية على هدوء الأعصاب ولم تستجب للاستفزازات وبلدنا كل ما يمكننا لإعادة العلاقات مع جمهورية الصين الشعبية إلى حالتها الطبيعية . ولكننا من جهة أخرى لا يمكن طبعاً أيها الرفاق أن نتجاهل استمرار الخط المعادي للسوفييت في دعاية الصين وسياساتها وتأكيد المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي الصيني هذا الخط في قراراته . إننا نرفض بشدة ما ينشر من بكين ويغرس في أذهان الشعب الصيني من افتراءات على سياسة حزبنا ودولتنا . إن بذور بذور الخلاف بين الصين والاتحاد السوفييتي يبدو أكثر سخافة وضراً إذا ما وضعنا في الاعتبار أن ذلك يحدث في وضع ينشط فيه الإمبرياليون أعمالهم العدوانية ضد الشعوب المحبة للحرية . فالجو يتطلب أكثر من أي وقت تلاحماً وأعمالاً مشتركة بين جميع القوى الثورية المعادية للإمبريالية بدلا من تغذية العداء بين دولتين كالاتحاد السوفييتي والصين^(٢) .

(١) د. راشد البراري ، الصراع الكبير بين الاتحاد السوفييتي والصين ص ٢٥٢ .

(٢) من خطاب ليونيد بريجنيف في المؤتمر الرابع والعشرين للحزب الشيوعي السوفييتي (مارس / أبريل ١٩٧١) .

ثانياً : قضية التعايش السلمى مع الرأسمالية :

تدور المناظرة بين السوفيت والصينيين حول مسألة التعايش السلمى حول السؤال التالى :

هل يوجد التعايش السلمى ظرفاً أفضل لثورات الشعوب التحررية أم لا ؟
فالجانب السوفيتى يرى أن السلام يخلق ظرفاً أكثر ملاءمة لتطوير النضال الطبقي الذى تخوضه الطبقة العاملة فى البلدان الرأسمالية ولدعم حركة التحرر الوطنى فى العالم ، ولذلك فهو ينادى بإحلال التعايش السلمى بين الأنظمة المختلفة محل الحروب إيماناً منه بأن المنافسة السلمية بين النظامين سوف تؤدى فى النهاية إلى انتصار الشيوعية .

أما الجانب الصينى فإنه يرى أن هزيمة السياسة الإمبريالية العدوانية إنما يكون بتكتيل قوى الاشتراكية وقوى التحرر الوطنى والسلام ودعم أواصر وحدتها فى صراع لا تهدأ حدته . فهذا العصر هو عصر الثورات التى ستنتهى حتماً بتدمير الإمبريالية العالمية التى تمثل أمريكا قاعدة ارتكازها الأساسية . ومن ثم فإن بكين ترى تكثيف الصراع ضد الولايات المتحدة على المستويين الآسيوى والعالمى وتشديد الضغوط على سياستها ومخططاتها ^(١) .

والحقيقة أن تحمس الصين لهذه الاستراتيجية الثورية بل وإسرافها فى تحييدها والدفاع عنها بغض النظر عن أوضاع المجتمع الدولى كانت وما زالت تشكل مصدراً أساسياً من مصادر النزاع الصينى السوفيتى .

ولقد ظهرت بوادر الخلاف بين الاتحاد السوفيتى والصين حول تنفيذ مبادئ هذه الاستراتيجية الصينية الدولية فى إطارها الثورى المتطرف مع إطلاق السوفيت لأول صواريخهم العابرة للقارات (سبوتنيك) عام ١٩٥٧ . وهو الحدث الذى اعتبره الصينيون بمثابة نقطة تحول فى تاريخ الجنس البشرى ، وأنه كان دلالة قاطعة على أن ربح الشرق كانت قد بدأت تغلب على ربح الغرب . ومن ثم

فقد اشتدت حدة الدعاية الصينية الموجهة ضد الإمبريالية الأمريكية التي وصفت بالضعف إزاء القوة المتعاظمة للنظام الاشتراكي العالمي ، كما بدأت الصين تطالب الاتحاد السوفييتي بانتهاج سياسات أكثر عنفاً وتشدداً ضد أمريكا والغرب .

ولكن الاتحاد السوفييتي لم يشأ أن يساير هذا الاتجاه الصيني على إطلاقه . فهو رغم تسليمه مع الصين بأن ثمة تحولا قد حدث في أوضاع التوازن الاستراتيجي لعلاقات القوى بين الكتلتين بسبب اختراعه للصواريخ العابرة للقارات إلا أنه اختلف مع الصين في استخلاص النتائج المترتبة على هذا التحول . فالسوفييت لم يشاركوا الصينيين رأيهم في أن التفوق العسكري والتكنولوجي الاشتراكي لم يكن حاسماً إلى درجة تبرر الدخول في مواجهات نووية ضد أمريكا ، وإنما كان من رأيهم أن الرسالة النووية الأمريكية كانت من الضمخامة بحيث تجعل من حدوث هذه المواجهات كارثة لا يمكن تحمل آثارها .

وقد أدى ذلك بالصين الشيوعية إلى مهاجمة الاتحاد السوفييتي لما اعتبرته مبالغة من جانبه في تقدير قوة الإمبريالية وقوى الرجعية العالمية بالمقارنة مع قوى الثورة في العالم .

وكان اعتقاد الصينيين هو أن النظام الإمبريالي العالمي كان يتفكك وينهار وأن ريع الثورة كانت تعصف بمواقع السيطرة الإمبريالية في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية كما أظهرت الصين علم اكتشافها بموضوع التهديد النووي الأمريكي الذي نظرت إليه على أنه لم يكن أكثر من وسيلة للإرهاب والابتزاز والتشهير كما عبرت عن اعتقادها بأن الغرب لم يكن مستعداً للمقاومة بإشعال حرب نووية ، ولهذا فإن للصين عارضة التراجع عن سياسة حافة الهاوية وطالبت بالامتناع عن تقديم أية تنازلات للإمبريالية تحت وهم الخوف من الحرب النووية .

وهذا الموقف للحزب الشيوعي الصيني إنما يساند رأي ماوتسي تونغ في أن

الرجعيين والاستعماريين والقنبلة الذرية ليسوا سوى « نموراً من الورق » .
 ويصل ماوتسى تونج إلى هذه النتيجة على أساس تحليل ماركسى للظروف
 المحيطة بالظواهر الدولية : فقد ذكر في اجتماع ممثلي الأحزاب الشيوعية في
 موسكو في نوفمبر ١٩٥٧ أن « جميع الرجعيين الذين يقال إنهم أقوياء ليسوا
 في الواقع إلا نموراً من الورق ، لقد وضعنا خلال فترة طويلة وبغرض مقاتلة
 العدو هذا المفهوم : علينا من وجهة النظر الاستراتيجية أن نتردى بجميع
 الأعداء وبمعنى آخر علينا أن نهزم بالعدو بمجموعة ، فإذا لم نهزم بالعدو بمجموعة
 فإننا نرتكب خطأ الانتهازية .

إن ماركس وإنجلز لم يكونا إلا شخصين اثنين وقد سبق أن أعانا في
 عصرهما أن الرأسمالية سيطاح بها في العالم بأسره .

ويؤكد ماوتسى تونج أن امتلاك الاستعمار للأسلحة النووية لم يغير من
 طبيعته المتعففة المتهارة : وأنه يبدو قوياً في ظاهره ولكنه ضعيف في
 حقيقته فيذكر « أن القنبلة الذرية نمر من الورق يستخدمه رجعيو الولايات
 المتحدة لإخافة الشعب ، إنها تبدو مرعبة . ولكنها في الواقع ليست كذلك
 ومن المؤكد أن القنبلة الذرية ملاح للإبادة بالجملة ولكن الشعب هو الذي
 يقرر مصير الحرب ولا يقرر مصيرها سلاح جديد أو سلاحان جديداً .

ولم يتأثر الاتحاد السوفيتي كثيراً بهذا الهجوم الموجه ضده وكانت عقيدته
 هي أنه بزيادة إمكانيات الكتلة الشيوعية من الأسلحة النووية : فإنه كان
 من الممكن إحراز تقدم نحو عقد اتفاقات تحول دون وقوع كارثة الحرب
 النووية ، وتؤدي إلى نزع السلاح وتخفيف حدة التوتر الدولي كما كان السوفيت
 يعتقدون في الدبلوماسية المباشرة باعتبارها الأداة المثلى على أعلى المستويات
 لتحقيق هذه الأهداف .

وبالإضافة إلى ذلك فقد كان الاتجاه السوفيتي هو تحييد التنافس بالأدوات

(١) « السياسة الدولية - الصين الشعبية والاستراتيجية الدولية » . بقلم إسماعيل صبرى مقلد

الاقتصادية مع الولايات المتحدة مع تقليل كمية العنف المستخدم في أى مواجهة إلى أدنى حد ممكن .

أما الصينيون فلم تكن لهم مثل هذه العقيدة في جدوى المواجهة عن طريق التنافس بالأدوات الاقتصادية . وإنما ركزوا كل اهتمامهم على أسلوب الصرع العنيف وكان من رأيهم أن العدوان الأمريكى لن يستسلم إلا إذا أكره على ذلك بالقوة المسلحة .

من هنا فقد تحمس الصينيون لفكرة الالتزام الثورى من جانب العالم الشيوعى وصولاً إلى تحقيق أهداف التاريخ ، وبغير ذلك فإن مسيرة التاريخ - فى رأيهم - لا بد وأن تتعثر بفعل المخططات والمؤامرات الإمبريالية .

أما الاتحاد السوفييتى فقد كان يؤثر التريث وعدم الانفعال حتى يمكن تقرير طبيعة الظروف الزمانية والمكانية التى تسمح بتدخله الاستراتيجى .

وهذه النزعة السوفييتية المتحفظة عارضها الصينيون الذين كانوا يؤثرون من جانبهم خلق المواقف الثورية والتدخل فيها حتى وإن اشمات على خطر الدخول فى حرب بسببها ضد الغرب .

وكان من رأى الصينيين أن النظام الرجعى العالمى لن يتهاوى ويتهى إلا بفعل الضربات المضادة الموجهة إليه من الحركات الثورية المدعمة بقوة العالم الشيوعى كما أن التعايش السلى لم يكن أكثر من سياسة تكتيكية يجب ألا تعطى من التركيز إلا أهمية محدودة ، وأنها كانت يجب أن تخضع أولاً وقبل كل شئ لمطالبات الصراع الثورى الذى طلبت بكين من الاتحاد السوفييتى أن يؤازره بلا أدنى تحفظ . وكان الاعتقاد الصينى هو أن السلام الذى كانت تدعو له أمريكا لم يكن إلا نوعاً من الخديعة والتفجير كما كان وسيلة خبيثة لتخدير الشعب وجعلها توقف صراعها ضد العدوان الإمبريالى .

وفى ازدهارهم مخاوف الاتحاد السوفييتى من مخاطر الحرب النووية العامة يقول الصينيون ، إن الحرب النووية لن تشعلها الصراعات الثورية وحروب التحرير الوطنى والدليل على ذلك أن هذه الحروب والثورات حدثت فى قارات مختلفة وأسنوات

طويلة منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، ومع ذلك لم تقع بسببها الحرب النووية، بل إنه على العكس من ذلك فإن هذه الحروب الوطنية أمكنها أن تفسد الاستراتيجية الإمبريالية الأمريكية الهادفة إلى إثارة الحروب العالمية .

وإذا كان الروس يرون أن نزع السلاح يعنى نزع سلاح قوى الحرب وإزالة العسكرية واستبعاد التدخل المسلح في الشئون الداخلية لأى دولة والقضاء تماماً على أشكال الحكم الاستعماري فإن الحزب الشيوعي الصيني يرى أنه يجب توجيه الجهود لا من أجل نزع السلاح ولكن لفرض توسع التسلح الاستعماري والاستعدادات الحربية الاستعمارية ومقاومتها ويرفض القول بأنه يمكن استئصال الحكم الاستعماري عن طريق نزع السلاح . وبينما يرى الروس أن التعايش السلمي أو « المباراة السلمية » خير سياسة تحقق مصالح العالم أجمع كما دلت التجارب وأنه « في ظروف التعايش السلمي سجلت انتصارات هامة جديدة خلال السنوات الأخيرة في النضال الطبقي للبروليتاريا وفي نضال الشعوب من أجل الحرية الوطنية وأن التطور التحريري العالمي يسير بنجاح ، فإن الحزب الشيوعي الصيني يرى أنه على الرغم من أن الصين كانت إحدى الدول المبتكرة للمبادئ الخمسة المعروفة للتعايش السلمي وأنها أقامت علاقات الصداقة مع دول كثيرة على أساس تلك المبادئ وأنها تنادي بضرورة تسوية المنازعات بين الدول بالطرق السلمية فإنه لا يمكن أن يعمل التعايش السلمي « والمباراة السلمية » محل النضالات الثورية للشعوب ، ولا يمكن تطبيق مبدأ التعايش السلمي على العلاقات بين الشعوب المضطهدة ومضطهديها . وهكذا يمتد الخلاف الأيديولوجي بين الدولتين من قضية إلى قضية وكل منها يتصل بأوثق الصلات بالقضايا الأخرى (١) .

فقد كان من رأى خروشوف مثلاً أن تقديم المساعدات الاقتصادية إلى الدول حديثة الاستقلال يمكنها من « أن تتجنب خطر استعباد جديد وأن تدفع تقدمها وتسهم في تطورها الطبيعي وفي دفع سرعة العمليات الداخلية التي قد تمضي بهذه البلدان في الطريق الرئيسي الذي يقود إلى الاشتراكية » ولم تنكر الصين أهمية تقديم هذه المساعدات الاقتصادية إلى الدول حديثة الاستقلال من جانب الدول

(١) محذوف الله الخطيب : الحزب الشيوعي الصيني والسياسة الدولية - السياسة الدولية

الشيوعية ولكنها عارضت فكرة أن هذه المساعدات وحدها تؤدي إلى استقلالها وتقدمها الاجتماعي واتهمت الاتحاد السوفييتي بأنه قد فقد الحماس الثوري واستجاب للتفاهم مع دول الغرب الرأسمالية ذلك أن قادة الحزب الشيوعي السوفييتي قد ابتكروا نظرية جديدة تقول بأن حركة التحرر الوطني قد دخلت مرحلة جديدة محورها الأساس الاقتصادي الذي هو الحلقة الأساسية في دفع الثورة وتطورها وذلك على غير ما كان عليه النضال في الماضي عندما كان يدور في المجال السياسي .

وترى الصين أن المرحلة الجديدة التي دخلتها حركة التحرر الوطني تتميز بارتفاع مستوى الوعي السياسي للشعوب في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية إلى درجة لم يسبق لها مثيل ، وباندفاع الحركة الثورية قدما وبمطالبة الشعوب بإحاح باستئصال قوى الاستعمار وعملائه بإرساء استقلال سياسي واستقلال اقتصادي كاملين .

وهكذا بينما تتجه سياسة الاتحاد السوفييتي إلى محاولة منع الحرب العالمية يستمر الحزب الشيوعي الصيني في دعوته إلى استخدام أساليب النضال العنيفة غير مبال بخطر الحرب النووية هائلاً من فكرة المباراة السلمية بين النظامين الاجتماعيين المعاصرين .

الثورة الثقافية تعمق الخلاف الإيديولوجي السوفييتي الصيني :

وقد تعمق النزاع الصيني السوفييتي إلى أقصى درجة إثر نشوب الثورة الثقافية في الصين ، التي جعلت من نقد الاتحاد السوفييتي أحد مبادئها الأساسية وعملت على ترسيب العداء له . . . وقد ركز الاتحاد السوفييتي كل أدوات اعياته وفي طلبتها صحيفة البرافدا السوفييتية ضد هذه الثورة فمن ذلك ما نشرته صحيفة «البرافدا» في مقال لها بتاريخ ١٦ فبراير ١٩٦٧ تحت عنوان : « السياسة المناهضة للسوفييت التي ينتهجها ماو وجماعته » حيث قالت : لقد فات زمن طويل على الوقت الذي كان يستطيع فيه نشاط جماعة ماو تسي تنج أن يبدو معبراً عن خلافات أيديولوجية وقضايا جدلية داخل الحركة الشيوعية . إن جماعة ماو تسي تونج لم تقتصر على الهجوم على سياسة الحزب الشيوعي السوفييتي ، بل إنها عادت

وأقدمت على خوض صراع سياسى سافر ضد بلادنا وضد حزبنا وشعبنا . وقد دخل هذا الصراع مرحلة جديدة أكثر خطورة في أعقاب الاجتماع العام الحادى عشر للجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى الذى عقد فى الصيف الماضى وبداية ما يسمى بالثورة الثقافية ، غير أنه تفاقم فى الآونة الأخيرة . ومن أبرز صورته الحملة المعادية للسوفييت التى تشنها قيادة - ماو - دعايات القذف والتشهير التى تشوه بنية سيئة كل خطوة يتخذها الاتحاد السوفييتى فى سبيل السلام والاشتراكية - فالصحف والإذاعات الصينية تبذل كل ما فى وسعها لتشويه سمعة شعبنا وحزبه . بل وأكثر من هذا فإن الدعايات الصينية أخذت منذ شهور عدة تمحرض الشعب السوفييتى على قاب نظام حكمه القائم ورفع « لواء ماوتسى تونج على الميدان الأحمر » وتأسيس نظام جديد فى الاتحاد السوفييتى على غرار القاعدة التى يرسمها ماو فى الصين .

وتستطرد البرافدا قائلة « ويحاول قادة الصين الحاليين جاهدين أن - يفتعلوا صورة (للسخط الشعبى) فيزجروا فى الحملة المعادية بالآلاف ممن خدعهم قصص اختفاء أعوان ماوتسى تونج وعن وحشية ملطخة بالدماء فى الاتحاد السوفييتى وقد جعل منها جهاز الدعاية برمته شغله الشاغل ، فهو ، لا يفتأ يستثير التروبات المستيرية بأقاصيص عن فظائع لم يسمع بها ^(١) » .

ومما جاء فى هذا المقال التى نشرته « البرافدا » نستوضح ضخامة الحملة الدعاية التى تشنها الصين ضد السوفييت وكيف يقنها السوفييت .

والحقيقة أن مجال حرب الدعاية بين الصين والاتحاد السوفييتى قد انتقل إلى مواقع أخرى خارج البلدين - فكلما البلدين يعمل على نشر المبادئ الشيوعية من الزاوية التى يؤمن بها ولهذا انتقل الصراع الدعايى السوفييتى الصينى إلى مواقع كثيرة فى العالم الثالث فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية .

وتعد الصين دعايتها بطريقة مدروسة ومتكاملة فقد حشدت مجهودات ضخمة لخدمة أهدافها وتأكيد وضعها الدولى فى مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتى وتايوان ، بغرض تزعم العالم الثالث فى مواجهة الاستعمار .

ويقوم التكتيك الدعائى الصينى على الترويج للنقاط الأساسية التالية :

أولاً : أنها دولة ملونة تشعر بمشاكل الشعوب الملونة .

ثانياً : أنها دولة عانت من الاستعمار مثلها مثل سائر شعوب العالم الثالث .

ثالثاً : أنها دولة نامية .

وأنه على الدول النامية التى تعتبر (ريف العالم) أن تتحد فى مواجهة (مدن العالم) وهى الدول الغربية المتقدمة ، بحصارها عن طريق الكفاح المسلح - والحدير بالذكر أن الدول الغربية أصبحت تشمل فى التعريف الصينى الاتحاد السوفييتى أيضاً .

الخلاصة :

وخلاصة القول أنه مهما اختلفت وجهات النظر بالنسبة للصراع الصينى السوفييتى وتقييم هذا الصراع وأثره على الدول النامية والدول التى ما زالت تكافح ضد الاستعمار ، فالأمر الذى لا شك فيه أنه يدعم وقف الاتحاد السوفييتى فى تزعمه للجبهة العالمية المناهضة بنقد الحرب بين النظامين الاجتماعيين وإحلال التنافس السلمى مكانها .

فليس من شك أن هذا الخلاف قد قوى من رصيد الثقة فى صدق الدعاية السوفييتية القائمة على الدعوة إلى التعايش السلمى ، فالاتحاد السوفييتى إذ يضحى بصداقة العمال الشيوعى الصينى على مذبح السلام العالمى لا يعقل أن يكون هازلاً أو منافقاً فى دعوته ، وهكذا تكسب الدعاية السوفييتية رصيلاً جديداً هائلاً من ثقة شعوب العالم بما فى ذلك العالم غير الشيوعى .

...